جامعة حمد بن خليفة
HAMAD BIN KHALIFA UNIVERSITY

كلية الدراسات الإسلامية في قطر
QATAR FACULTY OF ISLAMIC STUDIES

كلية الدراسات الإسلامية تستضيف ندوة حول صون الحياة النباتية في الإسلام

الدوحة، 17 فبراير 2014. أقامت كلية الدراسات الإسلامية في قطر، التابعة لجامعة حمد بن خليفة عضو مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، بالتعاون مع مشروع حديقة القرآن النباتية عضو مؤسسة قطر، ندوة علمية تخصصية بعنوان "صون الحياة النباتية في الإسلام"، وذلك يوم الثلاثاء الموافق 28 يناير 2014 في مبنى الكلية وشهدت الندوة حضوراً مميزاً من كافة الفئات المهنية والأكاديمية، ولاقت تقدير الجميع.

استهلت الندوة بكلمة ترحيبية من الدكتور محمد خليفة، مدير مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، أشاد فيها بحضور كل من الدكتور سيف الحجري، مؤسس ورئيس مجلس إدارة مركز أصدقاء البيئة، ورائد حماية البيئة في قطر والعالم العربي –حسب تعبير الدكتور محمد خليفة– كما رحب بالحاضرين والمشاركين في الندوة، وهم السيدة فاطمة الخليفي، مدير مشروع حديقة القرآن النباتية، والباحث الأستاذ أحمد الغريب، ومن كلية الدراسات الإسلامية الأستاذ الدكتور جاسر عودة، أستاذ مشارك في السياسة العامة في الإسلام، والدكتور إيفرن توك، الأستاذ المساعد والمنسق الأكاديمي لبرنامج الماجستير في السياسة العامة في الإسلام.

بدأت الندوة بعرض فيلم تصويري وثائقي عن نشأة مشروع حديقة القرآن النباتية، والذي قامت بتدشينه سمو الشيخة موزا بنت ناصر حرم سمو الأمير الوالد في سبتمبر عام 2008. وحتى الآن تم تجميع 22 نوعاً من النبات ذكرت في القرآن الكريم والسنة الشريفة. وتنقسم هذه النباتات إلى ثلاث بيئات جغرافية، وتشمل مناطق البحر المتوسط، والمناطق الاستوائية، والمناطق الصحراوية. وتسعى حديقة القرآن النباتية أن تكون مركزاً عالمياً لنشر الثقافة والمعرفة المتعلقة بالنباتات المذكورة في القرآن والسنة، وجسراً حضارياً يوصل الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى.

أشاد الدكتور إيفرن توك بالعلاقة التعاونية ما بين كلية الدراسات الإسلامية ومشروع حديقة القرآن النباتية ومجالات العمل المشتركة، إذ أن كلاهما يتعامل مع أمور وقضايا متعددة الاختصاصات، وكلاهما يسعى لتفعيل القيم النبيلة والأخلاقية لتعزيز النمو الاقتصادي والاجتماعي كوسيلة لتحسين نوعية الحياة، كما أنهما يشتركان في الاهتمام بقضايا الاستدامة البيئية والتنموية، وحفظ الموارد وصون الحياة النباتية من منظور إسلامي. وعليه فإن على واضع السياسات الأخذ بعين الاعتبار القيم والمبادئ والأخلاق عند رسم الأبعاد لسياساته، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار الأوضاع والظروف الداخلية والخارجية على المستوى المحلي والعالمي.

قدّمت السيدة فاطمة الخليفي، مدير مشروع حديقة القرآن النباتية، عرضاً تفصيلياً يوضح طبيعة عمل المشروع والفرق بين أنواع الحدائق ومفهوم الحديقة القرآنية على وجه الخصوص وما تقدمه من أدوار.

وفي معرض حديثها، بينت الأستاذة فاطمة الخليفي أن سبب ذكر النباتات في القرآن الكريم هو دعوة الإنسان للتأمل والتفكر، ولإعلان أن كل الكائنات الحية تعبد الله عز وجل، وللتأكيد على أهمية الحفاظ

على البيئة وحمايتها ورعايتها من أجل الاستدامة، وللفت أنظار الناس لنعمة التمتع بجنات عدن على سبيل التشبيه. كما تم ذكر النباتات في القرآن مجازاً للحث على الخلق الحسن والسلوك القويم، ولتقريب مفاهيم معينة مثل الحياة والموت. وساهمت السنة الشريفة بالحث على رعاية النبات والحفاظ عليه، واعتبار الغرس عملاً يتقرب فيه لله تعالى ويحسب من الصدقات، وأكدت الأحاديث على مفهوم الاستدامة من خلال تأكيدها على أهمية الاستمرارية في الغرس والمواظبة على العمل مهما كانت الموانع ما دامت الحياة قائمة. كما تم ذكر النباتات في السنة الشريفة كمصادر للعلاج الطبي والشفاء، إلا أن هذا التأكيد على أهمية النبات في حياة الإنسان لا ينزلها منزلة التعبد في الإسلام.

أضافت السيدة فاطمة أن الحدائق الإسلامية تم إنشاؤها بغرض توفير مكان للاستجمام والراحة والتأمل والاسترخاء، وتميزت بتوفير ثلاثة عناصر: الماء والجلسات والظلال، مثل حديقة تاج محل، والحديقة المغربية والفارسية. أما الحدائق النباتية فقد أنشأت بغرض البحث العلمي والعلم والتعليم وبعضها يضم بيوتاً زجاجية، مثل حديقة كيو الملكية النباتية، والحديقة الفرنسية النباتية. وهناك الحدائق الإنجيلية التي تزرع فيها النباتات المذكورة في الإنجيل وتحمل فكرة معينة قد تنفذ في البيت أو الحدائق العامة مثل حديقة وارسو.

حديقة القرآن النباتية التابعة لمؤسسة قطر تم تدشينها على يد صاحبة السمو الشيخة موزا بنت ناصر حرم سمو الأمير الوالد ورئيس مجلس إدارة مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع في 17 سبتمبر 2008 والذي صادف 17 رمضان 1429 حيث قامت بزراعة أول نبتة في الحديقة وهي شجرة السدرة.

مهمة مشروع حديقة القرآن النباتية تقوم على نشر المصطلحات النباتية والتأكيد على مبادئ الحفاظ على الطبيعة وصونها بحسب النصوص القرآنية، والحديث والسنة، وشرحهم ضمن السياق العلمي المعاصر. يرتبط عمل مشروع الحديقة القرآنية بالسياسات العامة، والأخلاق، والفن والزخرفة، والمناظر الطبيعية والهندسة المعمارية، وعلم اللغات، وعلم تركيب الأدوية والكيمياء. هذا وتتبنى الحديقة أدواراً بيئية وتعليمية وعلمية وثقافية وترفيهية لإثراء المجتمع.

وأعرب الأستاذ الدكتور جاسر عودة عن إعجابه بمشروع حديقة القرآن الكريم. وفي معرض حديثه عن العلاقة بين الأخلاق الإسلامية والحياة النباتية اعتبر الدكتور جاسر أن الحديقة القرآنية النباتية هي حديقة أخلاقية، والحديقة الأخلاقية هي حديقة قرآنية، فمثلاً هناك حكمة رائعة وراء ذكر البذور والنباتات في القرآن وبنظره هذا التوجه يجب أن يتسع لاحتواء أفكار أخرى لها علاقة بالنهج الأخلاقي بدلاً من التوجه نحو دراسة نبتة بعينها. إذ أن الإرشاد الأخلاقي في الإسلام يتخذ صوراً متعددة منها ما هو توجيه مباشر للمتعلم، أو تعليم البشرية السنن الإلهية في الخلق، فمن الجميل عند دراسة الحياة النباتية في القرآن النظر في السنن الإلهية في الكون التي تحكم الحياة النباتية بالإضافة للدراسة العلمية للنبتة.

إذا ما تمت قراءة القرآن بحسب ما جاء به من موضوعات وبطريقة ممنهجة ندرس فيها طريقة التعامل مع النباتات بطريقة التفسير الموضوعي، وإذا ما تساءلنا عن الموضوعات المطروحة، والتي تضبط قواعد التعامل مع النباتات، ستكون هذه الأحكام والقواعد هي الغايات أو الملامح للأسلوب الأخلاقي المتبع في الحياة النباتية والذي يحمل القيم الإسلامية.

يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات عن النباتات والطبيعة، وأول الموضوعات التي تلفت انتباهنا هي الوعي والإدراك الحسي للنبات، فمثلاً النبات يدرك الوجود الإلهي ويتعبد خالقه ويسبح بحمده، ولديه القدرة على التعبير عن نفسه ويصلي، وعليه فلكي تتعامل مع النباتات عليك أن تحس بها، وتشعر بالترابط معها لأنها مخلوقات الله عز وجل، ولها أحاسيس، وهذا جزء من تقدير قدرة الخالق، وعليه يتوجب عدم إلحاق الأذى أو الضرر بالنباتات، وهناك أمثلة في السنة الشريفة تؤكد هذا المعنى، وأن النبات هو كائن حي كالإنسان. وهناك موضوح التوحيد، وكما أن المسلم يؤمن بوحدانية الإله فهو يعلم أن هناك خصوصية لكل كائن حي يمتاز بها عن غيره، رغم وجود الخصائص المشتركة، وهذا يؤكد وحدانية الإله وقدرته على الخلق وهيمنته. وهذا ينبهنا للفرق بين المنهج القرآني في دراسة الحياة النباتية والمنهج الاقتصادي، بأن العلاقة مع النبات لا تحكمها المنفعة الاقتصادية أصلاً، بل الوعي بأن هناك إلهاً خالقاً مهيمناً يحسب حسابه عند التعامل مع النبات، بحسب ما أرشدنا إليه والإنسان هو أحد المخلوقات.

ومن الموضوعات الأخرى موضوع التنوع التي يبنى عليه قواعد التعامل، وهذا التنوع يوجب على الإنسان الحفاظ عليه، والناظر في النصوص القرآنية يدرك بأن التنوع مبدأ مقصود لذاته ولم يجئ بالصدفة، سواء التنوع النباتي أو الحيواني أو الإنساني. إن الاختلافات في اللون والشكل والرائحة تحرك في النفس النزعة نحو إعلاء الذات الإلهية الخالقة لهذا التنوع والمتصفة بالتوحيد والتوحد في ذات الوقت. فالحفاظ على هذا التنوع، والحفاظ على بعض النباتات أو الحيوانات المهددة بالانقراض هو مبدأ إسلامي مطلوب في الحياة النباتية.

إن التوازن في هذا التنوع هو درس أخلاقي آخر يسترعي انتباهنا عند قرآءة النصوص القرآنية، وعدم القدرة على المحافظة على هذا التوازن الرباني فهذا سيكون مدعاة للفساد في أرض الطبيعة، فالمؤمن موقن بأن الطبيعة ستسير على ما يرام إذا لم يتدخل الإنسان ليفسد في الأرض والبحر. وهذا لا يعني أن لا يتعامل الإنسان مع الطبيعة، ولكن عليه الأخذ بعين الاعتبار هذا التوازن في التنوع وعدم تكديره. هناك حكمة وراء كل مخلوق، وكل تنوع في الشكل والرائحة واللون، والحكمة لا تتجلى فقط في التشريع الأخلاقي للإسلام بل هناك حكمة في الخلق نفسه، فكل خلق له وظيفة، وهذا التصور يدعونا لأخذ الحيطة والحذر عند التعامل مع الحياة النباتية، والقرآن يدعونا للتأمل في هذا التوجه الوظيفي، فهناك تنوع وظيفي، منه للغذاء، والجمال، والشفاء، هذا التفكر يقودنا لتمجيد الخالق المتفرد بالتوحيد على نعمة النبات.

لقد قابل القرآن في عدة مواضع ما بين دورة حياة الإنسان ودورة حياة النبات، ودعا الإنسان للنظر في حياة النبات لأخذ العبرة والعظة من خلال التماثل والتشابه بين الحياتين، وهذا التشابه يعطينا دروساً أخلاقية بكيفية التعامل مع النبات مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة المحافظة على الحياة النباتية وصونها. فالحديقة الأخلاقية هي حديقة قرآنية، والحديقة القرآنية هي حديقة أخلاقية، وآمل أن تسهم الحديقة القرآنية النباتية بالتراث الفكري الإنساتي كما أسهمت في التراث الفكري الإسلامي كحدائق الحمراء في إسبانيا مثلاً.

إن موضوع الأخلاق في الإسلام مرتبط بالعلاقة مع الخالق سبحانه وتعالى والحياة النباتية لها حكمة من وراء وجودها كما أن لهذا الوجود ككل حكمة عظيمة.

ومن جانبه، قام الأستاذ الباحث أحمد الغريب بشرح المصطلحات العلمية النباتية بالاستناد لما ورد في الكتاب والسنة. لقد ذكر القرآن الكريم 82 مصطلحاً نباتياً لها علاقة بالنبات وأجزائه وذكر الحديث 60، هذا باستثناء أسماء نباتات ذكرت على العموم، وتم ذكر 20 نوعاً من المياه في القرآن الكريم. إن دراسة المصطلحات العلمية النباتية بحسب ما وردت بالقرآن والسنة يعطينا فهماً أدق وأعمق لمعاني النصوص القرآنية والنبوية، ويساعد على الاعتبار من هذه المخلوقات، كما يساعد على نشر ثقافة المصطلحات النباتية القرآنية والنبوية، ليتمكن القارئ من الاستدلال على القصد الأخلاقي والاسترشاد بالمعاني والتشابيه والاستعارات لمعرفة السلوك الأمثل للأفراد والمجتمعات.

في نهاية الندوة، شارك الحضور بالمناقشة وطرح الأسئلة وعبروا عن إعجابهم بموضوع الندوة والتعريف بمشروع الحديقة القرآنية ودورها المميز، والعلاقة التعاونية التي تربط كلية الدراسات الإسلامية في قطر مع مشروع حديقة القرآن النباتية تقدم نموذجاً للتسجير الثقافي بين مختلف العلوم والتخصصات للاسهام قدماً في بناء الصرح الحضاري الإنساني المعاصر.

كلية الدراسات الإسلامية بقطر

تأسست كلية الدراسات الإسلامية بقطر من أجل إنشاء كيان فكري يسلّط الأضواء على الثراء والتنوع الموجودين في التراث الإسلامي، وذلك تحت مظلة جامعة حمد بن خليفة. وتهدف رؤية كلية الدراسات الإسلامية إلى أن تكون محوراً للفكر والحوار في سبيل التقدم بالبحوث المتعلقة بالإسلام، سواء أكانت حديثة أو تراثية، فضلاً عن تنشئة جيل شاب من المفكرين والباحثين المتمرسين بالدين الإسلامي والحضارة والممارسات الإسلامية.